

منابع التصورات المجتمعية حول "المرأة" في المجتمع العربي (دراسة سوسيو-نفسية)

Sources of societal perceptions about "women" in Arab society (a socio-psychological study)

نجمة عليوش *

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة -aliouchend@gmail.com

سفيان بوعطيط

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة -sofianebouattit@yahoo.fr

تاريخ القبول: 16 / 05 / 2026

تاريخ الإرسال: 06 / 01 / 2026

ملخص:

لا تزال المرأة في المجتمع العربي تعيش استلاباً لخصائصها الإنسانية والأنثوية، من خلال تعيين حدودها الماهوية وهندسة دورها الجنسي (أو النوعي) وتموقعها الاجتماعي، هذا الاستلاب الذي عاشته وعاشتته المرأة في جميع الثقافات ولدى مختلف الأمم، أمثالاً لسردية كلاسيكية منبثقة بالأساس من ثقافة ذات صناعة ذكورية، أرست قواعدها الأولى من منطلق السلطة للأقوى، لتتشكل الأنثى تحت وطأة هذه السلطة، وتتحوّل إلى "امرأة الرجل"، المثقلة بحمولات الاستبعاد والاصطناع والسيادة، من طرف قوي على طرف آخر ضعيف، ولا تزال هذه هي وضعية المرأة خاصة في المجتمع العربي، فبرغم التحولات المجتمعية على المستوى الثقافي، والانفتاح المعرفي، ومشاريع التنوير، إلا أنها تظل في الوضع نفسه، مع وجود بعض التغيرات الطفيفة، التي لم تعمل على تغيير جذور التصورات السلبية عنها، وتأتي هذه الورقة البحثية بغاية تفكيك "سردية المرأة" في الجنس والزواج، بحيث سنقوم بتتبع التصور المتغلغل في العقل العربي حول سلبية المرأة في العلاقة الجنسية ومحدوديتها، مقارنة بالتصور الإيجابي للنشاط الجنسي القوي للرجل الذي يبدأ بالمهد وينتهي باللحد، كما سنقوم في الشق الثاني من دراستنا بمساءلة العقل العربي في ما يخص تصوره لدور المرأة في الزواج والأسرة، وهذا من خلال تتبع مسار تشكل هذا التصور، عبر الحقب التاريخية، لنصل إلى نتيجة تفيد بأن التصور السلبي الذي يحملها العقل العربي حول المرأة في الجنس والزواج منبعها الرئيسي العاملين الاجتماعي – الاقتصادي، وسيصل معنا القارئ إلى هذه النتيجة بتتبعه مسار هذه الدراسة عند قراءتها.

الكلمات المفتاحية: التصورات؛ المرأة؛ المجتمع العربي؛ سردية المرأة؛ الرجل.Abstract:

Women in Arab society still experience and live in a state of alienation from their own human and feminine characteristics through the definition of their essential boundaries, the construction of their sexual (or gender) role, and their social positioning. This alienation has been experienced by women in all cultures and among various nations, in compliance with a classical narrative stemming primarily from a patriarchal culture. This culture established its

* المؤلف المرسل: نجمة عليوش

foundations on the principle of the power of the strongest, shaping women under the weight of this power and transforming them into "the woman of the man," burdened with the weight of subjugation, artificiality, and domination by a powerful party over a weak one. This remains the situation of women, particularly in Arab society. Despite societal transformations at the cultural level, intellectual openness, and enlightenment projects, their situation remains largely unchanged, with only minor alterations that have failed to change the root causes of negative perceptions about them. This research paper aims to deconstruct the "narrative of women" in sex and marriage. We will trace the deeply ingrained perception in the Arab mind regarding the passivity and limitations of women in sexual relations, in contrast to the positive perception of sexual activity. The strong man begins in the cradle and ends in the grave. In the second part of our study, we will question the Arab mind regarding its perception of the role of women in marriage and the family. This will be done by tracing the formation of this perception throughout historical periods, to reach a conclusion that indicates that the negative perception that the Arab mind holds about women in sex and marriage is mainly due to socio-economic factors. The reader will reach this conclusion with us by tracing the course of this study when reading it.

Keywords: Perceptions; Women; Arab society; Women's narrative; Men.

مقدمة:

تشكلت صورة المرأة في المخيال البشري نتيجة عدة عوامل ترسخت عبر المراحل التاريخية، وهي في كليتها صورة سلبية تحط من قيمتها، سواء فيما يتعلق بطبيعتها وخلقها، أو في تركيبها البيولوجية والأخلاقية، فهي كائن جدلي إلى يومنا، وهذا الجدل هو ليس من أجل التوصل إلى إجابات نهائية، تقدم الأنثى على حقيقتها كمخلوق سامي كالرجل، وإنما هي مناورات كلامية تعمل على استدعاء سردية المرأة كما تم صياغتها وترسيخها في اللاوعي الجمعي، بغاية تمريرها وإبقائها حية مع كل جيل، وأحد مقولات هذه السردية هما اثنتان "مقولة المرأة/الجنس"، و"مقولة المرأة/الزواج"، يتم تقديمها في الأولى على أنها أداة للمتعة وفي الثانية على أنها خادمة النوع.

والزواج كما هو متعارف عليه، هو بمثابة الرباط الذي يجمع المرأة والرجل، في علاقة ترتكز على مقومات أو شروط لتكون لها نتائج ايجابية في مسار بناء الأسرة مستقبلا، تتطلب من كلا الزوجين بذل مجهود لتحقيق الغاية من زواجهما، وكثيرا ما تعترض الزوجين عراقيل ومشكلات تهدد إيصال مجهودهم إلى الهدف المرسوم له، بفعل عوامل مختلفة، قد تكون متعلقة بالزوج أو الزوجة أو كليهما، وقد تكون العوامل خارجية، ممثلة في عائلي الزوجين.

ولعل المشكلات الناتجة عن أحد طرفي العلاقة أو كليهما، هي ما يكون لها تأثير كبير على التوافق الزوجي بينهما، فوجود مشكلة معناه أن هناك خلل ما يشوب علاقة الزوجين، ولم يتمكن من حلها أو تجاوزها، لتكون بمثابة مشكلة جدية قد تؤدي إلى فشل العلاقة الزوجية، خاصة إذا نتج عن الزواج أولادا، فسيتأثرون نفسيا وعاطفيا بالمشاكل، خاصة إذا قرر الزوجين الاستمرار في زواجهما لأجل الأولاد، فهما يظنان أن مراعاة شعور ونفسية الأولاد هو الأهم، ويعتقان أنهم لا يفهمون أو ليس لديهم الوعي الكافي لاكتشاف أن العلاقة بين والديه مضطربة، وهذا مناقض للحقيقة،

لأنهم يفهمون كل ما يدور حولهم وفي المحصلة المشاعر السلبية لا ترتدي الأقنعة لتختفي وراءها، فهي تتسم بالوضوح والحساسية، دون التعبير عنها، وبالتالي فإن تجاهل الزوجين للمشكلات بينهما لها تأثير سلبي أكبر على الأبناء، وعليهما بدرجة أكبر.

وعادة ما يرجع الزوجين حدوث المشكلات إلى أسباب متعددة، غير أنهما لو خضعا لجلسات تحليل حقيقة هذه الأسباب فسيصلان إلى أن السبب الحقيقي هو المحرك، ونفترض في دراستنا الراهنة أن الجنس هو السبب القوي الذي له تأثير كبير على فشل أو نجاح العلاقة الزوجية، وهو من يحكم على العلاقة في الحالتين، فإذا وُجد التوافق الجنسي بين الزوجين، وكان لديهما ثقافة جنسية صحيحة، فسينعكس بالإيجاب على الزواج، أما إذا انتفى هذا التوافق فستتأثر العلاقة بالسلب، ولأن الجنس يعتبر من الطابوهات التي تلتف برداء العيب والحرام فانه غير قابل للنقاش بينهما خاصة إذا كان الزوجين ينتميان للمجتمع العربي الإسلامي، حيث يشوب الجنس تصورا وممارسة مغالطات كثيرة وخطيرة، تتعلق أبرزها بالمرأة/الزوجة التي يُنظر إليها في العلاقة الجنسية كتابعة للرجل/للزوج، وخادمة لرغباته، فحكموا عليها بسلبيتها، وخلوها من الشهوة الجنسية، وهذه المغالطة تلقي بظلالها التوافق الزوجي ضمن الإطار الجغرافي والثقافي للمجتمع العربي الإسلامي عموما والجزائري بالخصوص، وفي هذه الورقة البحثية سنحاول التطرق لملامح "سردية المرأة" في الجنس والزواج، من خلال تتبع جذور نشأتها والعوامل التي ساهمت في تبلورها، مع تقديم رؤية نقدية موازية، نُحاكم فيها مصداقية وحقيقة هذه السردية، من خلال طرح التساؤل التالي: ما المقصود بـ"سردية المرأة" في الجنس والزواج، وهذا عبر التطرق إلى العناصر التالية:

- التعريف بمصطلحات الدراسة

- مفهوم الجنس: بين الاستهلاك والاتحاد

- تاريخية ظهور الزواج والأسرة

- صيرورة الزواج: والانتقال من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي

- الجنس والزواج في المجتمع العربي

1. تحديد مصطلحات الدراسة:

1.1 تعريف مصطلح السردية أو السرديات:

نقصد بها مجموع المقولات الكبرى التي أسست للتفكير الإنساني في مختلف مجالات الحياة، وصاغت عقل ومخيال البشرية، بحيث أصبح ينظر لها على أنها يقينيات لا يمكن المساس بها، أو إعادة التفكير فيها، واستعرنا هذا المصطلح من المفكر والفيلسوف جان فرانسوا ليوتار، التي ارتبطت أساساً بالنظرية النقدية المابعد حداثة.

ونتناول في هذه الدراسة سردية من بين السرديات الكبرى التي أطلقنا عليها مسمى "سردية المرأة"، ولم نقل الأنثى لأنها تدل على النوع البشري (أنثى/ذكر)، وقلنا المرأة لأن هذه المفردة تتضمن مقولات ثقافية، شكلتها المجتمعات البشرية عبر التاريخ حول الأنثى، وأصبحت بمثابة حقائق ومسلمات يقينية مطلقة.

2.1 تعريف مصطلح الزواج عند عبد الرزاق الجبران:

الزواج عند الجبران هو تلك الاثنينية القابلة للتوحد، تتحقق فيه غاية الوجود الأنثوي للمرأة عند الله، شرطه الأساسيان هما التوحد (وحدة القلب ووحدة المعنى) و وصال المعنى، و وصال المعنى هذا في الزوجية يحمل مستويات، أعلاها وصال العشق وأدناها وصال الحاجة، وهو معنى وظيفي، وأساس العلاقة الزوجية بين المرأة والرجل الشعور بالسكن النفسي أو الحب (عبد الرزاق الجبران، 2011، ص. 45، 64).

وينقل الجبران عن النبي معنى الحب في الزواج، بأنه تلك الرغبة في أن تكون مع الآخر، وأن تشعر بالحياة معه، شرط أن تكون معه لذاته فحسب، وليس ل(أشيائه)؛ طبقته، ماله، جاهه، نسبه، دينه، وفي هذا الوجه للحب يظهر التحديد الأبرز لمفهوم (المودة) قرآنياً مع الزواج (عبد الرزاق الجبران، 2011، ص. 44).

2. مفهوم الجنس: بين الاستهلاك والاتحاد:

لفهم العملية الجنسية بين المرأة والرجل، علينا أولاً التعرف على الخصائص البيولوجية لكلا منهما من حيث الجهاز التناسلي، ونقدم نظرية الإمكانية الجنسية المتعادلة Equipotentialité sexuelle لمارانون Maranon فرضية تفيد بأن الكائنات في البدء كانت ذات جنس مزدوج، وأن التركيب الجنسي لأفراد كل فصيلة له أساساً مشتركاً يحتمل التذكير والتأنيث، وبأن الفروق الجنسية بين الذكر والأنثى ليست فروق جوهرية أصلية، بل هي فروق فرعية مستجدة، بمعنى أن المرأة والرجل أصلهما واحد، ولا مفاضلة لأحدهما على الآخر، أما عن الاختلاف البيولوجي بينهما فهو موضع تكامل وليس تمايز، وهذه النظرية هي الموجه لنا في رؤيتنا الكلية للمرأة والرجل.

إن كلا الجهازين التناسليين لدى الأنثى والذكر مصممين لوظيفتين اثنتين هما الوظيفة الجنسية والتناسلية، وتعددت الآراء حول كلتا الوظيفتين، من حيث الأولوية والغاية، وهناك رأيين بارزين في هذا الشأن، رأي يرى الجنس

ممارسة بين المرأة والرجل غايتها التناسل واللذة، وهو رأي يمثلته الطبيب والمحلل النفسي سيغموند فرويد، عراب النظرية الجنسية، يرى أن وظيفة الجنس ليست التناسل بل اللذة، وقام فرويد بتتبع مراحل تطور الغريزة الجنسية عبر الحضارة وخلص إلى أنها مرت بثلاثة مراحل هي:

المرحلة الأولى: يكون فيها نشاط الغريزة الجنسية حراً خارج نطاق الأهداف التناسلية.

المرحلة الثانية: تُقمع فيها الغريزة الجنسية ما عدا لوظيفة للتناسل.

المرحلة الثالثة: يكون فيها التناسل المشروع هو الهدف الجنسي الوحيد التي تتطابق مع الأخلاق الجنسية (سيغموند

فرويد، 1999، ص. 46).

ونتفق مع فرويد مع هذا التقسيم، لأن الجنس البشري في ظهوره الأول لم يكن يمتلك الخلفية المعرفية أو التجربة التي تجعله يمتلك الوعي الذاتي أو الوعي بالوجود، وتصرف وفقاً لفطرته، وكان الجنس بالنسبة له سلوكاً فطرياً غريزياً، وكان اكتشافه للزراعة سبباً لتغير رؤيته للجنس وأصبح يسخره للتناسل، ويتطور النظام المعرفي تطورت المجتمعات، وراح المجتمع يضع القوانين ويفرض قيمه على الأفراد في صورة عقد اجتماعي، وتحول الجنس إلى عملية تمارسها المرأة والرجل ضمن إطار علاقة شرعية وهي الزواج، وسنفضل الحديث في هذا الشأن في عنصر "الجنس والمرأة عبر التاريخ"، أما عن رأيه في المرأة فيقولها صراحة أن الأنثى ذكر دون قضيب، وبالتالي فهو رافض مبدئياً وجود جنس آخر غير الرجل، فهو يعترف أن نظريته في الجنس مبنية على الذكر وحده وليس على كلا الجنسين، كما يقول بالطبيعة الذكرية لليبيدو، وقصر فرويد دور المرأة في كونها حاملة للمصالح الجنسية للبشرية (الذكورية)، لأن الوظيفة الجنسية لديها مصابة بالضمور، إما لأن البظر حافظ على تهيجته وأصيب بالبرود عند العلاقة الجنسية، أو بسبب الكبت، فيكون نشاطها الجنسي أثناء العلاقة ضعيفاً مقارنة بالممارسة النشيطة للرجل، الناتجة عن الشهوة الجنسية القوية لديه، بل إنه ذهب بعيداً بالقول أن المرأة المتزوجة لا تحتاج الجنس إلا لمدة عشرين عاماً، لأن نشاطها الجنسي من طبيعة سلبية، ويبرره فرويد في صورة اعتراف أن هذا الاختلاف يعود إلى الضغط الاجتماعي والثقافي، المتمثل في الضبط الأخلاقي المتزمت والمتطرف، الذي وضع قوانين أخلاقية لخلق إنسان مثالي، جعلته يضحي بفطرته الجنسية ويقمعها، مما نتج عنه إنسان مشلول داخلياً وخارجياً.

ويصدق هذا الكلام على المرأة/الزوجة أكثر من الرجل/الزوج أثناء العلاقة الجنسية، فالمرأة مطالبة أن تكون داخل إطار محدد لها سلفاً من قبل المجتمع، فعلها أن تكون حاملة لأخلاق الحياء والعفة والطاعة منذ طفولتها، وخلال المراحل العمرية التالية، ولأنها تُبرمج على هذه الأخلاق، ترى أنها في حكم الطبيعة والفطرة التي خلقت عليها، لتعمل على تحقيق هذه الصورة، وتنتقل بها إلى سرير الزوجية، ولأن الرجل أحد أوجه المجتمع فإنها تشعر برقابة المجتمع من خلاله، فيكون سلوكها الجنسي مشوب بشيء من الحياء والخجل، وباختصار تكون الطرف السلبي في العملية الجنسية، فيما يكون الرجل في أوج الإثارة، ويتمياً لإفراغ شهوته الجنسية، فيصطدم من سلبية الطرف الثاني، لتبوء العملية الجنسية بالفشل لعدم وصول الطرفين إلى النشوة الجنسية.

يعتبر أصحاب هذا الرأي أن المرأة لا تمتلك الشهوة الجنسية، ولا تصل للنشوة أو لا تصل إلى مرحلة الأورجازم، وأنها مفعول بها أثناء الممارسة الجنسية وتابعة للرجل، بغرض إرضائه، غير أن الرأي العلمي يخالف التصور الذي يقول بالسلبية الجنسية للمرأة، "فقد توصل ماسترز وجونسون من أبحاثهما، أن بلوغ اللذة في الجنس عند المرأة والرجل متشابهان من الناحية الفيسيولوجية" (نوال السعداوي، د.ت، ص. 17)، وأن شهوتها الجنسية لا تضعف بل تزيد، وهذا ما أكدته مجموعة من العلماء "بأن تكرار الحمل يزيد من قدرة المرأة على الاستمتاع بالجنس، لأن الحمل يُغرق جهاز المرأة بالهرمونات الجنسية (نوال السعداوي، د.ت، ص. 56-57)، فيما يذهب رأي آخر إلى القول بأن الشهوة الجنسية عند المرأة عندما تبلغ مرحلة ما يُطلق عليها "مرحلة سن اليأس"، مماثلة لشهوة الفتاة في مرحلة المراهقة.

أما إلصاق تهمة السلبية الجنسية على المرأة فهي نتيجة عوامل اجتماعية، لأنها مطالبة بتأدية الكثير من الأدوار كأن تهتم بتربية الأبناء والاعتناء بهم، وأداء الأعمال المنزلية التي لا تنتهي، وهي مطالبة بالاهتمام بأصغر شؤون الزوج، وجميع هذه الأعباء تؤثر سلباً على قدرتها الجسمية والنفسية وحتى العقلية، لأنها تتعرض لاستنزاف متوحش لقدراتها وطاقاتها، ففي حالة الولادة وحدها يؤدي كبر حجم رأس الجنين إلى تمزق في أنسجة الجهاز التناسلي، ما يؤدي إلى تعطل قدرة المرأة للوصول إلى الأورجازم ويضعفها -كما أنت على ذكره نوال السعداوي-، وجميع المسؤوليات التي تقوم بها المرأة ليست بمسؤوليات مرحلية مرتبطة بمرحلة معينة وتنتهي، بل هي ملازمة لها طوال حياتها، فلو عشنا يوماً واحداً في حياة امرأة متزوجة لديها أطفال، فسنتأكد بأنها تقوم بالكثير من الواجبات الصعبة دون مساعدة، هذا العمل الصعب والمثير لأعصاب الأمهات، وبعد فراغها من ضغوطات النهار بكامله تقرر أخذ قسط من الراحة، فتدخل غرفة النوم وتجد زوجها يدعوها للقيام بواجب آخر ألا وهو ممارسة العلاقة الجنسية، فتستجيب لدعوته لأنها من ضمن "واجباتها الزوجية"، هذه الواجبات المتكررة يومياً ولأعوام، من الطبيعي أن تضعف من الشهوة الجنسية لديها، وتجعلها الطرف السلبي في الممارسة الجنسية، لأن طاقتها موجهة بأكملها للخارج ولا تذخر لذاتها شيئاً، فلو أطلقنا العنان لخيالنا وعكسنا الأدوار بين الرجل والمرأة، وتخلينا الرجل مكان المرأة في المثال المذكور، فستكون النتيجة واحدة، وهي أن شهوته الجنسية ستضعف وسيكون هو الطرف السلبي في العملية الجنسية، فالمسألة إذن متعلقة بالوضع الاجتماعي للمرأة.

أما الرؤية الثانية للجنس، فترى أن الممارسة الجنسية هي حالة اتصال بين المرأة والرجل، لتتوحد روحيهما في روح واحدة، ولا يمكن لهما الوصول إلى هذه المرحلة العرفانية الصوفية إلا عن طريق تحقق شرط "الحب" بينهما، لتتحول به الممارسة إلى "جماع"، ولهذا نحن نساند الجبران في تبني مصطلح "الجماع" في دراستنا بدلاً من "العلاقة الجنسية" أو "الممارسة الجنسية"، لأن المصطلحين الأخيرين يثيران في النفس النفور والرفض، لأنهما تصوران هذا اللقاء بين المرأة والرجل على أنه عملية روتينية، يكون فيها الطرفان بمثابة مستهلكين لشيء أو خدمة كغيرها من الخدمات المتاحة في ظل هذا النظام الاقتصادي الجشع والغارق في المادية، في حين أن مفردة الجماع توحى بالجمع والاجتماع، توحى بالالتحام والالتقاء، ولا يكون اجتماعاً إلا بعد أن كان هناك افتراق، وإذا حدث الجماع حضر الشغف والحُب والاشتياق للقاء الآخر، ولا يجتمع إلا المحبين، وبالتالي يختبر المجتمعين المرأة والرجل تجربة مفعمة بالمشاعر، لا يلتقي فيها جسديهما

فحسب، بل وروحهما أيضاً، فيكون جماع جسدين وروحين، وهذا ما رآه الفيلسوف فرانسوا شيرباز بأن الجنس هو حركة ذات معنى "(بندلي، د.ت، ص. 23)، وليس عملية ميكانيكية.

وذكرنا أن شرط وصول المرأة والرجل إلى هذه الحالة العرفانية هو وجود حب حقيقي بينهما، ونعني بالحب مفهوم غادة السمان عنه، التي سئلت عن معنى الحب مرة فأجابت: "أن الحب يفجر طاقة الإنسان على الإلمام بهذا الكون بصورة أكثر كفاءة، والحب يرفع درجة الوعي لدى الإنسان لما يحيط به (...). الحب حرارة في التعاطي مع الأشياء، الحب هو فرق بين إنسان ينبض وآخر يمضي كجثة تؤدي دورها الاجتماعي"، وهذا المفهوم يلتقي مع ممثلي الرؤية الثانية للجنس وهو المفكر العراقي عبد الرزاق الجبران، الذي قدم رؤية متكاملة حول مسائل المرأة، الزواج، والجنس في المجتمع العربي الإسلامي، متبنياً فلسفة الوجودية الإسلامية التي تقوم على مبدأ "الوجود لله والماهية للإنسان"، لتقديم تحليله لهذه المسائل، ولما كان الجبران وجودي الهوى والتفكير، اعتبر أن المرأة والرجل جُمعا بـ "فوضى وجودية"، بعناوين دينية خرجت بالزواج من صورته الطبيعية الدالة على "الصنو" الوجودي، إلى صورة فقهية تدل على المشتري الشرعي/الديني، فالزواج تحول إلى عملية بيع وشراء أي بمثابة عملية تجارية، تُباع فيها المرأة لمن يدفع أكثر، والسلعة هنا هي جسد المرأة بغاية التمتع به، أطلق عليها الجبران أزاوية المال/الجسد، ويحمل الجبران فيما انتهى عليه الزواج في المجتمع العربي الإسلامي إلى "الفقه الإنساني"، الذي أسس للجسد وسقوطه تاريخياً، إذ تم التضحية بالمرأة على محراب الفقه الذكوري، ونعتبر أن الجبران أظهر ألمعية في تصوير واقع الزواج في المجتمع العربي الإسلامي، الذي تحول حسب من حقيقة "سكن" إلى شريعة "فرج"، ومن "مفهوم قراني" ملؤه "الوجودي" إلى "طبع قريشي" ملؤه الذكورية"، ومن "كفؤة ذاتية وجودية" إلى كفؤة دينية وقومية طبقية" (عبد الرزاق الجبران، 2011، ص. 27)، فالزواج بمفهوم الجبران أمر وجودي شرطه التوحد بين روحين، والاندماج الحقيقي للثنتين بالقلب، فالمعيار الأول للحكم على زواج ما ليس الحرام والحلال، بل هو مبدأ وصال العشق، المشتق من المفهوم المركزي لأطروحة الجبران المتمثل في "وصال المعنى"، ووصال العشق في الزوجية يحكمه شرط أساسي وهو توفر السكن النفسي بين المرأة والرجل، ليكون الجماع تلاقي روحهما من خلال الجسد.

3. تاريخية ظهور الزواج والأسرة:

لماذا نتزوج؟ إن هذا التساؤل المبدئي يحيلنا للتقليب في صفحات التاريخ عن أولى تجليات هذا الرباط بين المرأة والرجل، ولأن عمر البشرية موغل في القدم، لم تصل إلينا المعرفة المثبتة عن ملامح الحياة قبل ظهور الكتابة، وقبلها الضرب على الصخر، الذي نقل لنا بعضاً منها على شكل نقوش استغرقت زمناً، ليتمكن المتخصصون من تفكيك رموزها وفهم دلالاتها، التي تدور عن تصوير طبيعة الحياة في عصر ما لدى جماعة ما، والتي اقتصرَت على صور بسيطة تنقل صور لحيوانات وأجسام لأشخاص، أو تصوير لأدوات كانوا يستعملونها.

أما عن الصور التي تنقل لنا الزواج والأسرة أو النظام الاجتماعي القائم هنا أو هناك فلا وجود لها، ويعود هذا إلى أن الإنسان آنذاك هو نفسه لم يعرف هذه المسميات، لأنه لم يمارسها، فلا يمكن إعطاء مدلول دون دال، وعليه فإن إنسان ما قبل الحضارة وما قبل الكتابة لم يكن يعرف الزواج أو الأسرة، لأسباب عديدة، أولها غياب الملكية الخاصة، فكارل ماركس أرجع ظهور الزواج والأسرة إلى طور ظهور الزراعة والملكية الخاصة، فالبشري الذي بدأ حياته على الأرض بالصيد والتقاط الثمار من الأرض أو من على الأشجار، لم يكن يهدأ أو يستكين في مكان واحد، لأنه مطالب غريزيا بالبحث عن الغذاء والماء أهم حاجتين لديه في تلك المرحلة، وبالتالي فمقولة "الاستقرار" (لازمة أصيلة لبناء الحضارة) لم تكن من بديهيات جهازه الفهني، ولكنها طرأت عليه بعد أزمنة طويلة لا يمتلك العلم حسابها بالأرقام من الوصول إليها بعد دهشته الكبرى من الأرض الوئود، فقد اكتشف أن ما على الأرض من أشجار ونباتات هي زرع، فهي لا تنمو لوحدها، بل هي عملية يمتلك الإنسان القدرة على القيام بها، ومن إدراكه لهذه الحقيقة باشر إنسان العصور الأولى فلاحه الأرض، بجانب استئناس الحيوان، وعلى مر الأزمنة كون هذا الإنسان علاقة وطيدة مع الأرض وبقي وفيها لها، لتغدو بمثابة آلهة مقدسة يعبدها، بل إنها كانت مبدأ الميثولوجيا وأول إلهة.

ولكن لماذا قدس الإنسان القديم الأرض لهذه الدرجة؟ ولماذا اكتفى بالزراعة كأبرز نشاط لديه وعاف الصيد؟ الجواب يكمن في أن الزراعة جاءت ملائمة مع الطبيعة البشرية وهي حبه للراحة والنعيم، فالزراعة لا تتطلب منه سوى بذر البذور والاعتناء بها من خلال السقي، والذي يكون بجانب الأرض المزروعة ونزع الأعشاب الضارة، وبعدها يبقى منتظراً دخول موسم الحصاد، ليتعلم هذا الإنسان طقس "الانتظار"، الذي لم يفق بعد من دهشة الأرض السحرية التي يخرج منها كل ما لذ وطاب، ليصبح مسحوراً بها، فلم يعد يتحرك من أمامها، إذ رأى نفسه خادماً وعبداً لها، فهو مطالب بحراستها والعناية بها لكي ترضى عنه وتكافؤه بخيراتها ونعمها، حتى إذا ما طرأ طارئ كأن يفسد الزرع بسبب الجفاف وعدم هطول الأمطار، أو هطول أمطار طوفانية تجرف الزرع، سارع الإنسان أو الجماعة إلى ممارسة طقوس وشعائر تستعطف بها الأرض، وتتذلل لتكفر عن خطاياها، فذلك الإنسان اعتبر أنه المسؤول عما يلحق زرع من فساد لذنب اقترفه يده، ولما كانت الأرض ألهته المقدسة التي تهبه الغذاء أهم شيء في حياته، فواجب عليه طلب العفو والصفح منها، أما احتقاره لحرفة الصيد سببه ما يقاسيه من أخطار وما يبذله من مجهود كبير لكي يتصيد حيواناً يكون وجبة يوم أو

أسبوع، ولأنها قبل الزراعة كانت الحرفة التي يمارسها الجميع، فكانت المنافسة على أشدها والعيون ترقب الظلال، خاصة وأن الحيوانات (الوجبة الرئيسية) لم تكن على مرأى منهم أو سهلة الاقتناص، ولأن الحيوانات عرفت بغريزتها أن الإنسان يترصص بها في كل وقت ومكان، تمنعت هي الأخرى بأن لا تكون فريسة سهلة، ليكون الإنسان في مرمى الأخطار الكثيرة كصعوبة التضاريس، وخطر الحيوانات المفترسة التي يواجهها بأدوات بدائية بسيطة لا تضاهي الأسلحة الطبيعية الفتاكة لتلك الحيوانات، أما الخطر الثالث فهو الإنسان الآخر الذي ينافس في قوته ومصدر غذائه، وهذه الأخطار الثلاثة تهدد غريزتين أساسيتين لديه هما غريزة البقاء وغريزة الأكل، وعندما اكتشف الزراعة شعر بالأمان ورمى قلقه على حياته وغذائه بين ظهرانيه، ومد يده إلى العالم الخارجي القاسي والغامض، ليعقد معه اتفاقية صلح وصداقة حذرة.

أما السبب الثاني الذي دعا بالإنسان آنذاك لتقديس الأرض "أحجيته العجيبة"، هو أنه استطاع أن "يفكر"، أن "يفعل"، أن "يمتلك"، أن "يكون"، وأن "يتمرد"، ليصبح الإنسان التابع للطبيعة والمنكر أمامها لا حيلة له، ليصبح فاعلا استطاع كسر جزء من سلطة الطبيعة، وحل واحد من ألغازها وأحجياتها، وهي أفعال أردتها بهذا الترتيب، لأنها تختصر تاريخ الإنسان مع الطبيعة، وتصف صيرورة العلاقة بينهما، فعندما تعرف الإنسان على الطبيعة من حوله لم يكن مزودا بالاستعداد العقلي والحسي للدخول في علاقة مع هذه الكتلة الصلبة من الألغاز، التي بثت في نفسه الخوف والحيرة، ولأنه مجبر على العيش فيها، كان لزاما عليه أن يتعلم التعايش معها، ولأنه بدأها كالوليد الذي لفظه الرحم عاريا من كل شيء لا حول له ولا قوة، تجرع منها شتى أصناف العذابات والمآسي، وكأن الطبيعة رفضت دخوله إلى حرمتها، لمخاوف لم تبج بها إلا متأخرة! وبالرغم من هذا الرفض الذي قاسى الإنسان ويلات، جسديا ونفسيا، وبالرغم من أنه كان الطرف السالب بين طرفي المواجهة، إلا أن اكتشافه للزراعة جعله يشعر بأنه دك أحد الحصون المنيع للبيئة، وتمكن من أن يخلق (عملية الخلق التي احتكرتها الطبيعة) مصدر غذائه، هذا الخلق الذي كان عن طريق ما بذله بقليل من التفكير، ليكتشف سرا من أسرار الطبيعة التي تحتفظ به لنفسها، وهو أنه لو قام بنبش الأرض بضع سنتيمترات ووضع بذرة وإرجاع التراب عليها، سوف يتحصل على غذاء من صنع يديه، وهو ليس بحاجة لانتظار تلك اللقيمات التي تتلطف بها الطبيعة عليه، وتفكيره هذا أخرجه من حالته السلبية أمام الطبيعة ليتحول إلى فاعل فيها، ومن خلال امتنانه للزراعة أصبح يمتلك الأرض التي زرعها، ولكي يحافظ على غنيمته وانتصاره على سلطة الطبيعة وهيمنتها، كان لزاما عليه أن يحافظ على مكسبه، فاستقر عندها وشيد منزلا على مقربة منها واستأنس الحيوانات، وأنجب الأطفال ليرثوا كنزه ويحافظوا على انتصاره، ويخلدوه عبر الأجيال، وبهذه الطريقة أصبح للإنسان ممتلكات تخصه وحده، فلم تعد الطبيعة وحدها من تمتلك، هذا كله لا يزال فعل التفكير مستمرا ومرافقا لهذه الصيرورة، وكلما زاد إدراكه للطبيعة زاد فهمه وقدم تفسيرات عقلانية ومنطقية، وعندما سقط جدار الألغاز أمامه تبينت له الطبيعة، وواصل الفعل والامتلاك في صورة انتزاع واستحواذ على الطبيعة، وعندما فك أحجياتها وألغازها تمرد على سلطانها وامتلكها.

وعندما نقول الإنسان فإننا نقصد الأنثى والذكر، المرأة والرجل، وكلاهما ينطبق عليه الحديث السابق، وبالتالي فإن المرأة كالرجل كانت تخرج للبحث عن مصادر الأكل والشرب، إلا أن نشاطها هذا أوقفته لبعض الأحيان عمليتي الحمل والإنجاب، فكان لزاما عليها القعود لرعاية أطفالها، وحمائيتهم من الأخطار الخارجية، أما الرجل فحمل على عاتقه

تزويد عائلته بالغذاء، وهذا عكس الفرضية التي تقول باستفراد الرجل وحده بعملية الصيد والبحث عن الغذاء، بل أنها كانت مهمة مشتركة بينهما، لسبب أنهما لم يعرفا تقسيم العمل والأدوار، وتخلت المرأة عن مرافقة الرجل للصيد بالتدريج بسبب الحمل وتربية الأطفال، وعندما تحدثنا عن اكتشاف الإنسان للزراعة فكنا نقصد الأنثى، فهي من تفتنت إلى زراعة الأرض، لأنه توفر لها شرط التأمل والنظر فيما حولها، وهي تحمل وتربي، فقبلها كان الإنسان (أنثى وذكر) مشغول بكسب قوته طوال النهار، لا يسكن، وكان الليل بمثابة راحة له يأخذ فيه قسطه من النوم، فلم يكن الكون والطبيعة يشغلانه، وعندما تسنى للأنثى فرصة القعود أخذها التأمل والتفكير فيما حولها، وتفكيرها هذا أوصلها إلى فهم وإدراك زراعة الأرض والحصول على الغذاء منها، فيما كان الرجل مشغولاً في الصيد، ولكنه انضم إليها بعد ذلك في زراعة الأرض، وهكذا نستطيع القول أن الأنثى هي من خطت أولى الخطوات نحو التفكير ومن ثمة الحضارة، من خلال عمليتي التفكير والفعل، وبعد مراحل زمنية استحوذ الرجل على الأرض، بفعل امتلاكه للقوة الجسمية، فدخل الجنس البشري في مرحلة النظام الزراعي، ساهم في تشكل مجموعات بشرية تتقاسم حيز جغرافي مشترك، ولما كانت الزراعة هي النشاط الجديد الذي يؤمن للإنسان الأمن الغذائي والاستقرار، ظهر النزاع والقتال بين أفراد هذه الجماعات حول الأرض، فكان أن حدثت صدامات بينهم تصدى لها الرجال بحكم القوة الجسدية والصلابة، التي اكتسبوها من حياة الصيد، أما النساء فاختبأن في البيوت مع أطفالهن، وتفرد الرجل في حماية أرضه وأملاكه.

4. صيرورة الزواج، والانتقال من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي:

لم يُعرف الزواج تاريخياً بالمعنى والشكل المتعارف عليه اليوم، حيث كانت الحياة على فطرتها الأولى فالبشر لم يخلقوا داخل نظام اجتماعي منظم وُضع قبلهم، وعليه كانت العلاقة بين المرأة والرجل غير محكومة بقواعد أو أعراف، فكانت هناك مشاعبة جنسية، ولما كان الجنس غريزة بشرية كانت العملية الجنسية لا تحكمها قيود، فيما يذهب رأي آخر يناقضه، وهو أن إنسان العصور الأولى كان يتبع قواعد بسيطة جعلت المرأة تكتفي برجل واحد والرجل بامرأة واحدة، ليتغير هذا مع دخول البشرية إلى مرحلة الزراعة، وظهر الزواج كما نعرفه اليوم وتكونت الأسرة، وكانت المرأة هي التي تمتلك السلطة داخل الأسرة لعدة اعتبارات، أولها أنها من اكتشفت الزراعة ولها الأسبقية في فلاحة الأرض، ثانيها يعود إلى أنها مصدر إنجاب الأطفال، فكما وقع الإنسان الذكر تحت سحر الأرض التي تخرج من باطنها الغذاء، قارنها بعملية الإنجاب لدى المرأة وخروج الجنين من بطنها، ووجد أن وجه الشبه بينهما هو الخلق، فقدس الأنثى كما قدس الأرض، خاصة أنه لم يتوصل إلى تفسير عمليتي الحمل والإنجاب، ووضعهما موضع الظواهر الخارقة الغيبية، لا تحدث إلا مع إلهة، واستنتج أن المرأة إلهة، فنظر إليها بعين الدهشة والتقديس، ما انعكس على وضعها داخل الأسرة والمجتمع (المجتمع القبلي)، الذي امتاز بالرفعة والاحترام، حتى أن الأولاد ينسبون إليها، فكان النظام أمومي بحق، ولكن الوضع تغير جذرياً ولم يبق على ما كان عليه، وبعد انتقال البشرية إلى أزمنة متقدمة من مرحلة الزراعة، حيث ظهرت فكرة الملكية الخاصة، وأمسك الرجل بزمام السلطة ونعى المرأة من مركزيتها ودفعها إلى الهامش، وقد ذكرنا أن السبب يعود إلى النزاع البشري آنذاك حول الأرض فالجميع يمارس النشاط نفسه، والكل يبحث عن الأرض الخصبة الصالحة للزراعة، وعليه قامت هذه النزاعات، ليتحول النظام الاجتماعي والأسري من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي، وأصبح

الرجل صاحب السلطة والكلمة الأولى والأخيرة، فيما انحسر دور المرأة على الإنجاب والتربية والاعتناء بالمنزل، وتم الافتراض أن هذا التحول كان بسبب امتلاك الرجل للقوة والصلابة الجسمية، التي منحتها إياها حياة الصيد، غير أننا نقدم فرضية أخرى نقول فيها أن الإنسان (الأنثى والذكر) اكتشف سر عمليتا الحمل والإنجاب، فكان ينظر إلى أن الأنثى هي الوحيدة المسؤولة عنهما، وهي إلهة الخصوبة والتناسل، لأنها وحدها من تحمل وتنجب، ولم يكن للرجل دخل بهذه العملية، وتم إضفاء تفسير غيبي لجهله بحقيقة العملية، ولهذا السبب تم تقديس المرأة وتأليهها، ما انعكس على سمو وضعها في الأسرة والمجتمع، ولكن انضمام الرجل إلى المرأة في زراعة الأرض وتركه للصيد، جعله يستقر هو أيضاً، هذا الاستقرار الذي حفز عقله لعملية التفكير، فراح يتأمل ويفسر، ولعله أعاد النظر في عملية الحمل والإنجاب، وتوصل إلى أن هذه العملية تتم فقط في حالة واحدة وهي عندما يقوم الرجل بإيلاج عضوه الذكري في بظر أو مهبل المرأة، فاستنتج بأنه هو وحده المسؤول عن عملية الخلق وليست المرأة، كما كان يعتقد خاطئاً، لنخلص إلى أن التحول للنظام الأبوي والهيمنة الذكورية سبها بيولوجي وليس اقتصادي (فالأول سبب والثاني نتيجة)، والمتمثل في اعتقاد الرجل أنه المُخصب والمسؤول عن الخلق فتأله.

والسبب الاقتصادي هي مقولة ماركسية، أرجع فيها ماركس ظهور الزواج ونظام الأسرة إلى سبب اقتصادي وهو ظهور الملكية الخاصة، ولأن زراعة الأرض تتطلب يد عاملة كثيرة، صارت المرأة مطلوبة من قبل الرجل بإنجاب الكثير من الأطفال، لمساعدتهم بفلاحة الأرض والعناية بها هذا من جهة، والمحافظة على الأرض من خلال توريثها عبر أجيال الأسرة الواحدة، فكما بينا من قبل فإن الأرض انطبعت لدى الإنسان (الأنثى والذكر) بصورة إلهية مقدسة، وعليه فإن المحافظة عليها واجب مقدس، لنستشف أن العلاقة التي كانت تربط بين المرأة والرجل نابعة عن سبب واحد وهو الخلود، وبالتالي فإن العلاقة الجنسية موضوعنا الرئيسي في دراستنا لم تكن تمارس تاريخياً إلا لغاية واحدة وهي "التناسل"، ليتمكن الرجل من الخلود.

5. الجنس والزواج في المجتمع العربي:

إننا نتحدث عن الجنس في زمن كسر فيها التفكير الإنساني جميع الموضوعات والقضايا، ووصل فيها إلى أدق جزئياتها، إلا أن موضوع الجنس وحدها لا تزال أغلالها مغلقة في المجتمع العربي، وهي من المحرمات، والنقاش فيها يستثير الفرد في هذا المجتمع حسياً ودينياً وليس فكرياً، فعندما يتجرأ أحدهم ويتحدث عن الجنس ضمن الإطار العلمي الأكاديمي، فإن الأعين والأذان تستيقظ وتنبيه وكأنهم شعروا بخطر محقق بهم، كالفريسة التي تشعر بتهديد من مفترسها، وخاصة ممن يعتبرون الجنس موضوع وممارسة تنحصر بين جدران غرفة النوم، أما إذا تجاوزها إلى أروقة الجامعة أو صفحات الجرائد، وشاشات القنوات التلفزيونية، فهذا يعني بالنسبة لهم كشفٌ لعورتهم وتعد على خصوصياتهم، وهو يدخل ضمن إطار العيب والحرام، حتى وإن كانت الغاية من التطرق إلى الجنس علمية بحثية.

ولكي نفهم جذور هذه الرؤية عن الجنس في المجتمع العربي الإسلامي، علينا أن نعود بالتاريخ إلى ما قبل الإسلام، أي إلى العصر الجاهلي، ومن خلال مجموعة المؤلفات التي تعرضت لموضوع الجنس لدى العرب في العصر الجاهلي، خلصنا

إلى أنهم (العرب) عرفوا الإباحية الجنسية بجميع أنواعها (اللوواط، السحاق، حب الغلمان)، فكان هناك مشاعية جنسية، وكانوا يبيحون الجنس اللفظي والجسدي، إذ لم يكونوا يتحرجوا منه، فشهدت عليهم الخيم التي تُبدل من الشمال إلى الجنوب أو العكس، التي دلت على الحالة الجنسية التي تكون عليها المرأة آنذاك، نظرا للحرية التي كانت تتمتع بها المرأة والرجل على السواء، وتم ممارسة الجنس تحت مسميات عديدة، وكان وضع المرأة في العصر الجاهلي لا يختلف كثيرا عن وضع الرجل، إذ تمتعت بعدة مزايا كحرية التنقل والتجارة وحتى القيادة، فهناك بعض القبائل العربية التي حكمتها امرأة، كما كانت هناك قبائل يسودها النظام الأمومي وينسب الوليد إلى الأم، بالموازاة مع سيادة النظام الأبوي في قبائل أخرى، وهذا لا يعني أن وضع المرأة كان مثاليا بالمطلق، فمعروف أنها كانت تؤاد خشية الإملاق، لكن ظاهرة الوأد بحد ذاتها كانت منتشرة لدى بعض القبائل وليس جميعها.

ولعبت الصحراء دورا فعالا في تشكيل ذهنية الفرد العربي في العصر الجاهلي، ما فرض عليه نمط حياة يتمثل في الترحال المستمر، والبحث المتواصل عما يسد رمقه، بل نستطيع القول بأن ظهورها كان ضرورة فرضتها خصائص الطبيعة في الجاهلية، وتأثيرها على التكوين النفسي للإنسان فيها، إذ كانت تتسم بالمناخ الحار، وقسوة التضاريس، والجفاف، وندرة الماء والغذاء التي كان يتم الحصول عليه بالإغارة على القبائل الأخرى، هذا النمط من العيش كان له أثره على نفسية الجاهلي آنذاك، التي شبهها ديزيره سقال "بنفسية الطفل" في أولى تجلياتها، فكانت تتنازع مشاعر الخوف على حياته وشعوره بالتهديد وعدم الأمان من قوى الطبيعة، خاصة أنه لم يكن عقله مهيئا لاستنتاج تفسيرات منطقية وراء حدوثها، مما خلق لديه عجزا أمام هذا العالم المضطرب، جعل الجاهلي يعيش صراعا نفسيا ولدته فيه قوى طبيعية، بتفسير ميثافيزيقي، وقوى بشرية تهدد غذاءه وحياته، فلجأ إلى مواجهة كلا القوتين، من خلال بناء عالمه الخاص الذي يعيد إليه الأمان والاستقرار النفسي، فكانت المرأة بمثابة المعين الذي يستقي منها الشعور بالأمان النفسي والعاطفي، ومع مشاعية الجنس عرف عرب الجاهلية الزواج وعرفوا النظام الأسري، وفي قول البعض أن عرب الجاهلية لم يعرفوا الزواج المستمر وانتشار نكاح المتعة بينهم، وأن "عقد الزواج كان بمثابة صفقة تجارية" (تامر عبد الفتاح)، نقول أنها افتراضات لا يصح تعميمها على كل عرب الجاهلية، خاصة إذا تناهى إلى معرفتنا أن "المجتمع الجاهلي عرف نوعين من النساء، الحرائر وكُن يحظين بمكانة عالية في المجتمع، والإماء وكُن يتخذن أخدانا أو جوار يخدمن الشريقات وكُن في منزلة وضيعة" (تاريخ الشعوب العربية قبل الإسلام).

ومن خلال اطلاعنا على الأدبيات، التي تعرضت للعصر الجاهلي، لاحظنا نقصا في المعلومات التي تُفصل الحديث عن النظام الأسري في هذا العصر، ورغم قلتها إلا أنها تنقسم إلى رأيين متناقضين: رأي يذهب إلى أن "عرب الجاهلية لم يعرفوا زواجا مستمرا ترتبط فيه المرأة برجل معين، لأنهم كانوا يجرون على نظام النكاح المؤقت الذي كان معروفا لديهم بنكاح "المتعة" (تامر عبد الفتاح)، ورأي آخر يؤكد معرفة العرب في الجاهلية لنظام الأسرة، بدليل أن "كل عائلة كانت تملك خيمتها، وكان مجموع المضارب والخيام يشكل عشيرة، وكانت القبيلة تتكون من مجموع العشائر المتقاربة" (جاك ريسلر، 1993، ص 20-19)، بمعنى أن الأسرة كانت النواة التي تتشكل من خلالها القبيلة، التي تقوم بالأساس على علاقات التصاهر والزواج.

إن القول المطلق بعدم معرفة عرب الجاهلية للزواج ونظام الأسرة، هو حكم غير مبني على دراسة تاريخية معمقة، فيما نرى أنهم عرفوا النظام الأسري للاعتبار التالي: وهو أن المجتمع العربي في العصر الجاهلي يقوم على النظام القبلي، الذي يركز على مجموعة من الأسر تجمع بينها علاقات قرابة، لكي تحافظ على الدم والنسب ذو الأهمية الكبيرة في هذا العصر، حتى أنهم اشتهروا بضلوعهم فيما تم تسميته بعلم الأنساب، فكان الجمع بين المرأة والرجل بعقد الزواج وإنجاب الأطفال السبيل الطبيعي للحفاظ على نسب القبيلة، "فعلى نسب المرء تقوم حقوق الإنسان بل حياته في الغالب، فنسبه هو الذي يحميه ويردع الظالم عنه ويأخذ حق المظلوم منه" (جواد علي، 1993، ص. 466).

وعليه فقد يكون نكاح المتعة قد جمع بين بعض الرجال والإماء، وقد تكون القبيلة منعت حدوث الزواج بين الرجال من ذوي النسب الشريف والإماء لكي لا يفسد نسبهم، أما الزواج بالمعنى التقليدي المتعارف عليه، فيرجح أنه كان يتم بصورة أكبر بين النساء والرجال من ذات النسب والقبيلة، وللأسرة خصائص تُعرف بها من بينها "أن أفراد الأسرة عادة يقيمون في مسكن واحد، كما أنها المؤسسة التي تقوم بوظيفة التنشئة الاجتماعية للطفل، والخاصية الأخرى أنها بمثابة الخلية الاجتماعية في بناء المجتمع" (أحمد محمد مبارك الكندري، 1996، ص. 25)، وإذا ما أسقطنا هذه الخصائص على الأسرة في العصر الجاهلي فإننا سنجد أنها تمتاز بها، فكانت الخيمة هي المكان الذي يحتضن أفراد الأسرة الواحدة، والنواة التي تكونت منها القبيلة "وكان العرب ملتصقون بشيئين اثنين لا يكاد يفارقانهم الأول الإبل والخيول، والثاني المرأة، فكانوا يجدون في إبلهم وخيولهم متنفساً لغرائزهم الوحشية في الغزو والحرب والصيد، ويجدون في المرأة متنفساً لغرائزهم الجنسية" (صلاح الدين المنجد، 1975، ص. 15)، فالمرأة بالنسبة للرجل العربي في العصر الجاهلي كانت مهمة لأنها المصدر الوحيد الذي يجد فيها السند النفسي والعاطفي، ولم تكن تعني له مجرد جسد يفرغ فيها شهوته الجنسية، وكما هي كثيرة قصص الحب بين رجال ونساء من هذا العصر، والتي خلدها لغة العرب آنذاك وهو الشعر، وما أدلنا على الرباط الروحي بين الرجل والمرأة آنذاك إلا القصائد التي نطقت بمكنونات كلا منهما، كما أن علاقة المرأة والرجل، هي علاقة احتياج وحاجة تتطلب اتحادهما بميثاق الزواج، "فقد أجمعت الكثير من الدراسات عبر الزمن على أهمية وفوائد الزواج بالنسبة للصحة النفسية والجسدية للفرد" (مريم العلواني ودليلة زناد، 2022، ص. 27).

أما صورة الجنس لدى المجتمع العربي في العصرين الأموي والعباسي، التي كانت مختلفة تماماً عن سابقتها، لأسباب عديدة من بينها ظهور تيار أخلاقي قوي يقوم على الحياء المستمد من الدين الإسلامي، جعلت من الضروري تقويم الاتصال الجنسي بين المرأة والرجل ووضع إطار أخلاقي لها، فكان الزواج هو المدخل الشرعي والديني الذي يجتمعان من خلاله، وإذا تم خارجه فيتم اعتباره رذيلة وجريمة يعاقب عليها المجتمع بجميع منظوماته القانونية والشرعية، بل إن العملية الجنسية التي تمارس تحت سقف الزواج ينظر إليها كأداة للتناسل، والحفاظ على أرث العائلة وتراثها، أما نظرتهم للجنس بحد ذاته فكان يشوبها الازدراء وهي في أصولها الثقافية تنبعث من رؤية دونية متعلقة أساساً بالمرأة.

وترسخت هذه الصورة السلبية والمشوهة عن الجنس والمرأة في المجتمع العربي واستمرت إلى يومنا، لأنها صورة وصلت إلى اللاشعور الجمعي بفضل العامل الزمني، بالإضافة إلى توافر عوامل ساهمت بفعالية في تحويل هذه الصورة من مجرد سلوكيات وأعراف وواقع مجتمعي، إلى تشريعات لا تخالف قيد أنملة، عبر عملية عقلنة السائد كما يسميها

جون ستوارت مل، وتضامن الفن العربي بجميع أنواعه ووسائل الإعلام مع العامل الديني (الاسلام العامي) في تشيئة المرأة وتقديمها على أنها متاع للرجل، وتحدث هنا عن المسلسلات والأفلام العربية التي عملت على تنميط المرأة في صور لا تخرج عنها، فإما امرأة لعوب ترمي شباكها على رجل لاستغلاله ماديا، أو هي زوجة مقهورة في بيتها من زوجها وأولادها، والغريب أنها تظهر رضا على وضعها هذا، وسنقدم أمثلة عن مساهمة الفن بأنواعه في تكريس الصورة السلبية عن المرأة والجنس، ففي فن الشعر الحر الذي لم يستمد حرته من كسر قيود القوافي فقط، بل استمدتها أيضا في هتك جسد المرأة، والأدهى كان هتكاً لعقلها، وكانت هذه القصائد تُنلى على مسامع الجماهير من الطبقات المثقفة والمخملية، الذين استلذوا بتلك الكلمات والأوصاف والالفاظ المقنعة، وكانت المرأة بطلتها، ويكاد يكون نزار قباني أشهر الشعراء الذي اتخذ من المرأة موضوعاً أساسياً في أشعاره، حتى لُقب "بشاعر المرأة"، ولكن أي امرأة انشغل بها نزار؟ وكيف قدمها؟ دعونا نأخذ بعضاً من شعره في هذا الصدد لنجد إجابة على سؤالنا، يقول نزار قباني في قصيدة من "يوميات رجل مجنون":

إذا ما ارتكبت جريمة حب وضع لون البرونز المعتقد في كتفيك .. يقيني

إذا ما تصرفت مثل غلام شقي وغطست حلمة نهديك بالخمير

لا تضربيني .. أنا في لحظات الجنون الكبير

وينشد في قصيدة بعنوان "فاطمة في الريف البريطاني" قائلاً:

أتركيني، أوقف التاريخ يا فاطمة أخذوا كل عناويني .. ولم يبق أمامي

غير هذا الشارع الضيق بين الناهذين... لندن تمطرني ثلجا .. وأبقى باشتهائي بدويا ..

لندن تمنحني كل الثقافات .. وأبقى بجنوني عربيا ..

إن تاريخك قبلي .. كان تاريخاً غيباً إن عصري قبل أن يرسلك الله اليا كان عصراً حجرياً

إن أشعار نزار قباني كثيرة، ولن تكفيها هذه الصفحات لاستعراضها، فمقصودنا ليس تعداد أشعاره وإنما إعطاء عينة عن طبيعة شعره "النسوي" الذي يعرف شهرة وانتشاراً كبيرين، وتدلنا هذه الأبيات وتطالعنا قصائده الأخرى في المضمار نفسه على استنتاجين اثنين، كإجابة على السؤالين المطروحين، أول استنتاج أن المرأة التي شغلت بال وقلب نزار قباني هي المرأة التي تتمتع بالجمال الجسدي والوجه الحسن، وقصائده ممتلئة بعبارات المدح لهذا الجانب من المرأة، أما الاستنتاج الثاني أن لقاءات نزار قباني بالمرأة في شعره تكون دائماً من خلال الممارسة الجنسية (مجازاً)، فهو في خضم ممارسته تجده يغرق في أوصافه الجنسية للمناطق المثيرة جنسياً للمرأة، كالشفاه، والتهدين، والخصر، والحلمة، وفي المقابل لم يفصح عن مناطق الرجل بالاسم وينعتها بالنعوت نفسها، وليس من الخطأ أو العيب أن يتغنى قباني بمفاتن المرأة، لكن العلة في اقترانها بتوصيفات سلبية، وأن يكون خطابه الشعري للمرأة محصوراً فقط ضمن إطار دعوته لقضاء

علاقة جنسية معه، مصحوبة بصيغة أمر يدعو فيها المرأة لإرضاء نزواته، حتى يكاد يُخيل لنا أن قائل هذه الأشعار هي لأمير يخاطب فيها الجوّاري والقيان اللائي يمتلكهن، وإذا قلنا أنه يحاول في أشعاره تحرير الحب، الذي رزح زمننا طويلاً تحت مسميات الحرام والعيب في المجتمع العربي الإسلامي، لكان جهداً ومسعى مستساغاً، ولكن إذا تأملنا في الأمثلة الشعرية التي ذكرناها، وإذا قلبنا في ديوانه الشعري، فسنجد أن ما يتحدث عنه نزار قباني ليس حبا بتعريف عادة السمان المتبنى في دراستنا، بل هو الاشتهااء الجنسي للمرأة أو الحب الجسدي، وهذا هو المنظار الذي رأى قباني المرأة من خلاله، فلماذا لم يخصص قصائد أخرى ليتغنى بكاء المرأة ورجاحة عقلها وسمو نفسها مثلاً؟

ننتقل إلى الأديب المصري عباس محمود العقاد، وهو من بين أكثر المفكرين العرب الذين كتبوا عن المرأة في مؤلفاته، ومن يقرأ مؤلفاته التي تعرض فيها للمرأة يخلص بسهولة دون بذل جهد وعناء الموقف السلبي الذي يتخذه العقاد من المرأة، وها هي بعض آرائه حول المرأة في واحد من كتبه "المرأة في القرآن"، يقول العقاد في صفحة رقم 05_أعلن الحرب عليها من أولى الصفحات_ "حكم القرآن الكريم بتفضيل الرجل على المرأة، هو الحكم البين من تاريخ آدم، منذ كانوا قبل نشوء الحضارات والشرائع وبعد نشوئها"، ويقول في موضع آخر "أما الكيد الذي وُصفت به امرأة العزيز وصاحباتها، هو كيد يُعهد في المرأة ولا يُنسب إلى غيرها، أو هو كيدهن الذي يتسمن به، ويصدر عن خلائقهن وطبائعهن"، ويقول في الكتاب نفسه "ومن هنا صح أن يُقال أن المرأة كائن طبيعي وليس بالكائن الأخلاقي"، نكتفي بهذا القدر من آراء العقاد حول المرأة وهي على كثرتها التي لا يتسع لها الموضوع.

يرى العقاد أن القرآن أعطى أفضلية للرجل على المرأة، ولا نعلم هل هذا رأي أخذه عن كتب تفسير القرآن، أم أنه استنتاج الأديب الناتج عن تفسيره الخاص، أما إذا توجهنا نحو القرآن وحللنا لغة الخطاب فيه، فسنجد أن القرآن يخاطب كلا الجنسين الذكر والأنثى على السواء، وفي الاقتباس الثاني يختص العقاد المرأة وحدها بصفة الكيد، ويجعلها لازمة لصيقة بها وحدها بالفطرة دون الرجل، بمعنى أن لديها نزوع لإلحاق الضرر بالآخرين، وبالتالي هي مصدر الشر، وربما نسي العقاد أو تناسى أن لفظة الكيد ذكرت في مواضع مختلفة في النص القرآني، في سورة الطارق الآية 15 يقول الله تعالى "إنهم يكيدون كيدا، وأكيد كيدا"، في هذه الآية نُسب فعل الكيد للكافرين، أما في الموضع الثاني "وأكيد كيدا" الذي جاء بصيغة المتكلم، أي أن الله جل وعلا نسب صفة الكيد لنفسه، كرد على كيد الكافرين، وفي سورة طه الآية 59 يقول تعال "فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى"، ونسب الكيد هنا إلى فرعون، وقال في سورة يوسف الآية 76 "فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف" وفي هذه الآية نسب الله "الكيد" إليه، وهناك مواضع أخرى ذكر فيها لفظة الكيد، نسب في موضع واحد إلى المرأة (امرأة العزيز)، وفي جميع المواضع المتبقية نسبت إلى "الرجل أو الرجال"، بل إن الله عز وجل نسب لفظة الكيد إليه، ولا ندري سبب إغفال العقاد لذكر هذه الآيات، وفي الاقتباس الآخر استثنى العقاد المرأة بقوله أنها كائن غير أخلاقي، ولم يحدد نوع هذه الأخلاق التي لا تمتلكها، هل هي الأخلاق المحمودة أم المذمومة، ونظّمها الثانية، وحكمه هذا لا بد أنه نابع من ملاحظاته وتجاربه الحياتية الخاصة، فيبدو أن النساء اللاتي عرفهن كن ذوات أخلاق مذمومة، أو أنه قوبل بالرفض من إحداهن فنقم على جنس النساء جميعاً، ولعله تأثر بالصورة المشوهة عن المرأة، خاصة وأنها لم تعرف تغيراً في عصره، وفي الأخير نقول أن التجارب الحياتية للإنسان

تؤثر كثيرا في شخصيته، وتعمل على صياغة نظامه الفكري والقيمي عن كل ما حوله، ويذهب في إعطاء وصم لكل شيء في هذه الحياة، ويعممها على كل شيء، حتى وإن كان توجهه هذا خاطئا ومنافيا للواقع، وهذا ما حدث مع العقاد، إذ ترك تجاربه مع المرأة تُصيغ رؤيته الكلية عنها.

وللأغاني دور كبير في ترويج الصورة نفسها في المجتمع العربي، سواء كانت الأغنية الكلاسيكية أو المعاصرة، متعددة الأسماء حسب لهجة كل مجتمع، ونأخذ أمثلة عنها كأغاني الراي الجزائرية (وخاصة الراي المعاصر) وأغاني المهرجانات المصرية، المليئة بالإيحاءات الجنسية المباشرة وأبرز مواضيعها هي المرأة والجنس، وكان لظهور مواقع التواصل الاجتماعي دور فعال لتكريس الصورة السلبية عن المرأة، وهذا ما أكدت عليه دراسة قمنا بها بعنوان "طبيعة الصورة التي تعكسها مواقع التواصل الاجتماعي عن المرأة (تحليل محتوى مجموعة من الصفحات على موقع فستبوك)، فمن خلال تطبيق أداة تحليل المحتوى على أربعة صفحات جزائرية على موقع فيسبوك، خلُصنا إلى أن هذه الصفحات تقدم وتطرح موضوع المرأة في قوالب معينة لم تخرج عنها، وهي قالب الفكاهة والاستهزاء، ففي الفكاهة يتم تقديم المرأة كشخصية تبعث على الضحك والتسلية، بسبب عدم اهتمامها بمظهرها الخارجي، أو لأنها تضع نفسها في مواقف محرجة، أما قالب الاستهزاء فيتعرض فيه إلى التقليل من آراء المرأة، الداعية إلى التحرر من قيود المجتمع والتصورات المكونة عنها، كما تسخر بعض المنشورات من المرأة العاملة، التي تعطي أولوية لعملها وحياتها الخاصة على بيتها وزوجها وأولادها، ويتم تقديمها بشكل فيه استهزاء من خلال منشورات تظهرها على أنها تهتم وتنشغل بالأمر السخيفة وليست ذات قيمة، كالسوق، وتغيير ديكور المنزل، وهوسها بالزواج وإيجاد رجل، كما يتم تقديمها بالصورة نفسها عندما تهتم بتطوير نفسها وقدراتها، ويقدمون أفكارها على أنها خروج عن الأدوار الأساسية والأولية للمرأة التي خلقت لأجلها حسبهم، وهي أن تكون زوجة، أم، وربة منزل.

أما فيما يخص واقع المرأة في المجتمع الجزائري، وقبل التطرق لمسألة واقع المرأة الجزائرية، علينا أولا العروج على ملامح الثقافة الجزائرية ونظامها القيمي والأسري، ليساعدنا على فهم منابع التصورات المصاغة حولها، فالمجتمع الجزائري شكلته عناصر ثقافية متعددة، ما انعكس على نظامه القيمي وخاصة الثقافة العربية الإسلامية، التي تتمثل قيمها في اللغة والدين والعادات والتقاليد، وهناك وجود للثقافة الفرنسية في بعض عناصرها تركت بصماتها على الشخصية الجزائرية، نتيجة الفترة الاستعمارية الطويلة من بينها اللغة الفرنسية، التي تتغلغل مفرداتها في لسان المواطن العادي، أما التأثير العثماني فيتمثل في طرق التفكير والتعبّد، خاصة أن انتشار الإيمان بالخرافات، والدروشة والتصوف التي تركزت أكثر إبان العهد العثماني في الجزائر، ساهمت فيها عوامل كثيرة من بينها إهمال الاشتغال بالعلوم المادية، والتصور المشوه والمغالط لحقيقة الإسلام، مع اختلاطه ببعض التصورات والخرافات الوثنية، ولا تزال هذه القيم توجه تفكير الفرد الجزائري، وهذا ما نلمسه في بعض الظواهر الاجتماعية كالتبرك ببعض مظاهر الطبيعة، والأولياء، وممارسات السحر والشعوذة. وهناك قيم جديدة تم إدخالها إلى سلم القيم في المجتمع الجزائري فرضتها التحولات المعاصرة.

أما الأسرة الجزائرية فمرت في بنائها بمرحلتين، ففي الماضي كان المجتمع الجزائري يعيش في ظل الأسرة الممتدة، المتكونة من الأمهات، والآباء والأجداد والأخوال، والأعمام يتشاركون منزلاً واحداً، ويتعاونون في ما بينهم في إعالة الأسرة الكبيرة، وكان الأجداد أو الآباء أو الأشخاص الأكبر سناً هم من يشرفون على تدبير المنزل وتسييره في كل نواحيه، سواء في ما يتعلق بالإنفاق المادي أو حل الخلافات الأسرية، وتربية الأبناء، أو الفصل في الزواج الذي يتم في الأسرة، دون أية معارضة لهذا الرأي أو القرار من طرف بقية أفراد الأسرة، أما الأسرة اليوم فاختلقت عن سابقتها في أنها أصبحت تتكون من الأب والأم والأولاد غير المتزوجين، أو ما يُعرف بالأسرة النووية.

وبالرغم من التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري منذ الاستقلال على جميع الأصعدة، والسير نحو الانفتاح والتجديد، إلا أن المرأة بقيت على حالها، بل عرفت نكوصاً إلى الخلف حيث "رجعت إلى وظيفتها الأساسية التي يفرضها عليها المجتمع، وهي الزوجة المطيعة والطفلة المستسلمة وآلة الإنجاب، فعملية تحريرها في تلك الفترة كانت مرحلية فقط، فكل الأوصياء طرحوا السلاح بعد الثورة ... وحملوه من جديد للدفاع عن الشرف" (نوار نافع، 2013، ص153)، ونحن نتفق مع الباحثة، بل نرى أن المرأة الجزائرية كان وضعها أفضل قبل الاستقلال، وخاصة في فترة الثورة التحريرية، لأن المجتمع كان ينظر إليها كشريك للرجل في تحرير الوطن ومسؤولته مثله، ولم يكن يتم التفرقة بينها وبينه، إلا أن وضعها تدهور خاصة في الفترة التي شهدت فيها الجزائر بروزاً إيدولوجياً تقلل من قيمة المرأة، وبالرغم من اكتسابها لحقها في التعليم وخروجها للعمل المنحصر في "قطاعات التعليم والصحة والعدالة، فقد أدى النظام التعليمي بالمرأة إلى تركيز اهتمامها فقط على القطاعات التي تساهم في إعادة الإنتاج الاجتماعي" (مجموعة مؤلفين، 2014، 147)، وبالرغم من تبوئها للمناصب المهمة، إلا أنها لم تستطع إلى يومنا هذا إحداث تغيير في الصورة النمطية التي يحملها عنها المجتمع، وهذا ما يؤكد الواقع فلا تزال المرأة الجزائرية تسمع عبارات من قبيل "مكانك في المطبخ"، "خلق الله المرأة من أجل خدمة الرجل"، أما إذا تعرضت إلى العنف من طرف الرجل (الأب الأخ الزوج) فعليها أن تلزم الصمت وتتحمل لأنه يؤديها، حتى وإن كانت حالة ظلم، فالمرأة الجزائرية تتعرض إلى جميع أنواع العنف النفسي واللفظي والجسدي في المجتمع، وهذا ما أكدته نتائج دراسة لنا بعنوان "الواقع الوجودي للمرأة المعاصرة داخل الأسرة العربية: بين سلطتي الذكوري والديني (المرأة الجزائرية أنموذجاً)، حيث توصلنا إلى أن المرأة الجزائرية تتعرض للعنف من طرف الرجل بجميع أشكاله باسم الدين، بينما الدين الإسلامي (القرآن) براء من هذه التصورات، وإنما هي نابعة من التراث الذكوري الغاضب على المرأة، فالرجل يستعين في "تأديبه" للمرأة بمعتقدات تم شرعنتها من خلال تديينها، ومن خلال تأطير الأفكار العرفية داخل هالة مقدسة، لينتج عنها تصورات حول المرأة الجزائرية في جميع أشكال الثقافة من بينها الثقافة الشفوية.

6. خاتمة:

تشكلت صورة سلبية عن المرأة في جميع الثقافات، بدرجات متفاوتة، هذه الصورة التي سنتأكد من حضورها فعلياً في الثقافات المختلفة بدرجات متفاوتة، وتتجلى بوضوح في روايات الخلق، التي تنقل لنا أن الرجل هو المخلوق الأول والمرأة مخلوقة منه أو له، فهي إذن أقل من الرجل، وُجدت من أجل خدمته وإمتاعه، فيما تذهب روايات أخرى بالقول أن الأنثى شيطان متمثل على هيئة بشر، ورواية أخرى تشكك في كلا الأصلين البشري أو الشيطاني للأنثى، وتقف حائرة أمام حقيقتها، هذه الأصول الأولى التي شكلت "سردية المرأة"، وفي المقابل كان الذكر أو الرجل مطمئن في وضعه المتميز بالسمو والأصالة، ولكن هذا التمايز بين وضعية المرأة والرجل يدعونا لطرح التساؤل التالي: من كانت لديه السلطة لتقرير صورة المرأة والرجل، والانتقاص من الأولى والإعلاء من الثانية؟ والإجابة على هذا التساؤل تجعلنا نذهب لتقديم مفهوم المجتمع، واختارنا المفهوم الذي قدمته مارغريت تاتشر حيث تصف المجتمع بأنه مجموعة من الرجال والنساء والأطفال، في أبسط صوره، ولما كانت السردية تقول بسلبية صورة المرأة، فسنبخلص إلى أن من يمتلك الصورة الإيجابية الأفضل هو من كان يمتلك سلطة تشكيل هذه الصورة الناقصة عن المرأة، وكما تطرقنا مسبقاً، فإن عوامل بيولوجية واقتصادية أعطت للرجل هذا السمو، ولأن الغالب هو من يسن القوانين ويضعها والمغلوب مفروض عليه إتباعها وطاعتها، شكل الرجل صورة المرأة وفرض عليها تصديقها وتمثلها، والإيمان بأنها هي صورتها الحقيقية، وإذا ما حاولت المرأة التمرد على هذه الصورة عدها الرجل و"المجتمع" ناشزاً على العرف والفطرة التي خلقت عليها، فهي محكوم عليها أن تبقى داخل نطاق السردية التي صاغها لها، ويدخل ضمنها صياغة غريزتها الجنسية ورؤيتها للزواج، التي تقدم المرأة على أنها كائن سلبي لا تمتلك الشهوة، وفي علاقة الزواج هي الطرف الذي يساعد الرجل للخلود عبر التناسل، وحاولنا في هذه الدراسة تفكيك هاتين السرديتين، من خلال تتبع جذور تشكيلها، لتتوصل إلى وقوع هذه السردية في مغالطات، فالأنثى تتشابه مع الذكر في الغريزة الجنسية، وليست مجرد جسد، وفي الزواج هي فاعل إيجابي، وليست مجرد رجم.

7. المراجع:

القران الكريم

- الجبران، عبد الرزاق. (2011). *مبغى المعبد (شريعة المرأة والرجل)*. (ط.1). بيروت: دار إنسان.
- السعداوي، نوال. (د.ت). *الأنثى هي الأصل*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.
- العلواني، مريم، وزناد، دليلة. (2022، 6/30)، "التعاطف الزوجي بين الحقيقة والإدراك، وعلاقته بالرضا الزواج"، *مجلة الروائز*، 6(01). ص ص 25-39.
- المنجد، صلاح الدين. (1975). *الحياة الجنسية عند العرب (من الجاهلية إلى أواخر القرن الهجري)*. (ط.2). بيروت: دار الكتاب الجديد.
- بندلي، كريستي. (د.ت). *الجنس ومعناه الإنساني*. منشورات النور.
- تاريخ الشعوب العربية قبل الإسلام (أوضاع العرب الاجتماعية). (2020، 11/08) تم استرجاعها في 22/2026، 11. <http://www.sy-res.com>.
- ريسler، جاك. (1993). *الحضارة العربية*. (ترجمة خليل أحمد خليل). (ط.1). بيروت: منشورات عويدات.
- عبد الفتاح، عبد الفتاح. (2020، 11/08). *الأسرة في الجاهلية والإسلام*. تم استرجاعها في تاريخ 15/2025، 11. www.alukah.net.
- علي، جواد. (1993). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. (الجزء 8). (ط.2). بغداد: جامعة بغداد.
- فرويد، سيغموند. (1999). *الحياة الجنسية*، ترجمة جورج طرايشي. (ط.3). بيروت: دار الطليعة للطبع والنشر.
- مجموعة مؤلفين. (2014). *المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية*. (ط.1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد مبارك الكندري، أحمد. (1996). *علم النفس الأسري*. (ط.2). الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
- نافع، نورة. (2013، 1/1). "مكانة المرأة في المجتمع الجزائري". *مجلة دراسات اجتماعية*. 5(01). ص ص 147، 160.